http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1831) السنة السابعة - السبت (26) حزيران 2010

مراجعات

انبهارات شيركو بيكه س.. صوب غصن شجرة

دانا احمد مصطفى×

ان الخوض في تجربة الشاعر الكردي المجيد شيركو بيكس، يرنو الانغماس انغماساً روحياً في عوالم غائصة، و هذا الخوض الشعري، لا يخلو من رتوش ميثولوجية، تقذف بذاكرة المتلقي الى المنسي المعتق في الذاكرة الجمعية (سوسيولوجيا المعرفة)، و لو تمعنا تجاه المدلولات الميثولوجية، التي يثيرها المدلول الميثولوجي في بنية القصائد، سنعي أن هذه المدلولات، لاتنحصر فقط في اطار العملية الرؤيوية، بين العهد والمعهود، بل تتجاوز هذه الشكلية، من خلال إسقاطاتها الزمكانية، الى فرادة إبداعية، فهي حقيقة بمثابة قفزة حداثوية في المشهد الشعري الكردي و تجربة الشاعر، تضاف الى قفزات شيركو بيكس الشعرية، ولا سيما إذا أخذنا بالحسبان، واقع المرحلة التي أبدع فيها مرسلاته الإبداعية تلك، المحتواة في طيّ كتاب طبع في الاونة الأخيرة في بلاد الاهرامات والحضارة، إضافة إلى كونه أول مجموعة شعرية كردية في تاريخ الكرد يطبع في مصر.

فقد كانت رؤى الشاعر شيركو بيكس الشعرية رؤىً منقضة تسبر في جزئيات الفكرة، تحللها، تفككها، كما تصهر الجزئيات في الكل، و هذه هي العين الثالثة النادرة و الفريدة عند شيركو بيكس والاقتناصات الشعرية الصورية، ليست الاّ وليدة هذه العين النافذة ومنها تشع اشراقات واشعاعات الصورة و المتجسدة بالإيماءات و الموحيات النازفة:

مددت يدي صوب غصن شجرة
ارتعش الفرع من الالم
مددت يدي صوب الفرع
بدأ قدّ الشجرة
بالصراخ
احتضنت القدّ
اهتزت الارض تحت اقدامي
غاص الحجر
وهذه المرة حين انحنيت
وحملت التراب
صرخت كردستان باكملها
معا

كما ان هذه التجربة تختزن في ثناياها الشعرية، مهابة الفكرة، و عشق اللغة، و رجفات الحالة الشعرية الصادقة و الخاوية من التكلف و التصنع، إضافة الى جنية الشعر التي لا تبارح معبده، و مهما كانت مطارق هذه الجنية مؤرقة و موجعة. وهذه المرحلة هي مرحلة الانطباع الحسي للواقع على البقعة المضاءة في الذات التي تزداد اتساعاً بفعل العملية المزجية بين ثنائية الذات والواقع، الى أن يكتمل الواقع الثالث الذي تستشفه الذات، من خلال المشاهد الماثلة في القصائد و التي تلفحنا بانبهاراتها و دهشاتها بين فنية وأخرى. فكانت القصائد جلها مفعمة بجمالياتها الفنية و الروحية أكثر ألقاً و انتعاشا، و قراءة الواقع الثالث ظاهرة في هذه المشاهد و اللوحات الاحتمالية المعبرة عنه، و دعونا نسبر معاً في الواقع الثالث للشاعر شيركو بيكس:

في آخر الليل
في كل ليل
أ همس
لقلمي:
"اذا كان قنديل شعرك
لايضيء الا بدم شهيد،
فلتشل يدك
ولتعم
لتعش الناس، ولتمت القصائد".

كما نلاحظ الارتقاء الكشفي في حالة تتابع مستمر، و النزف الصوري لا ينضب، و لحظات التألؤ الدافقة من الفكرة عصية الالتقاط، لأن البناء الشعري في إبداعات شيركو بيكس

يرتكز على وحدة البنية و التوهج اللامتناهي، و التعبير الأداتي المقتصد، فان هاجس شيركو بيكس الاستفهامي، الداعي الى النبش عن جزئيات الأضداد، هي فضاءات مترئبة به على السؤال الذي يجلب الذات المتأزمة الى فضاءات أكثر نزفاً و أثارة، هذه التساؤلات يبدع فيها شيركو بيكس، هي حالة السؤال التجريبي في الظاهر و الإيحائي في الباطن، ألاينجرف ذهن القارئ الى تساؤلات لا تحدها تخوم:

سألت المنجل:
لماذا تقوست هكذا؟
أجاب:
قوسني العمل في الحصاد
سألت زهرة الثلج:
لم عمرك قصيرا؟
قالت:
وهل للعمر طعم بعد ذوبان الثلج؟
سألت القبرة:
لماذا انت لا تنامين؟
قالت:
لكي لا يتصور العشاق اني لا احرسهم
سألت اخر قصيدة لي:
ولم تحترقين انت هكذا؟
قالت:
لكي لا تتصور العنقاء ان ليس للفقراء رفيق

وتبلغ الصورةُ الشعرية في هذه النصوص درجة عالية من التوافق والإنسجام والإضاءة الداخلية، بحيث يشعر المتلقي معها وكأنّه أمام لوحة من العرض المسرحي تتشابك فيه الدوال الصوتية بالدوال المرئية وبالتالي بمدلولاتها، في حركة تعاقب منتظمة، لايمكن قراءتها قراءةً سطحية،

فإن شيركو بيكس تمكن من أن يضيف عنصراً آخر إلى الطبيعة الكردستانية، وهو عنصر التفتح و التفجر. فالطبيعة عنده لا تبقى كما هي عليه، بل تتماهى مع الإنسان في عشقه وصموده، ازدواجيته وقسوته، تناحره وصراعه من أجل البقاء، وضد البقاء في بعض الأحيان:

لا اسم مدينة
ولا حارة
ولا شارع
لا رقم هاتف
او صندوق بريد
أملك
ولكن
كل يوم
وبامتداد الطريق
تجيئني رسائل خضراء
من بعيد.. وقريب
لأن
شعري نفسه هو ساعي بريد المحبة
وعنواني
خندق لآخر شهيد

واخيرا ما لنا الا ان نقف اجلالاً امام ما نظمه المُجيد المبدع شيركو بيكس فنكن له هذا الاجلال جيلا بعد جيل.

× قسم اللغة العربية/كلية اللغات/ جامعة السليمانية

متابعة

كاظم غيلان في الخميس الإبداعي

الثقافة باقية شاء الحاكم أم أبى

محمود النمر

احتفى ملتقى الخميس الإبداعي بالشاعر كاظم غيلان بمناسبة صدور مجموعته - (لون الليالي صعب) التي صدرت عن دار ميزوبوتاميا،وقدم الجلسة الناقد السينمائي كاظم مرشد السلوم الذي وصف الشاعر المحتفى به بقامة عراقية تمثل الادب الشعبي الذي بدأ حياته مطلع السبعينيات من القرن الماضي ،الذي كتب القصيدة العامية الى جانب القصيدة الفصحى ،وقد نشر اولى قصائده في جريدة طريق الشعب وجريدة الراصد وجريدة المجتمع ،ونشر نصوصا نثرية في جريدة العرب وجريدة القدس العربي وكذلك عمل في حقل الصحافة العراقية واعتمد ككاتب عمود في صحيفة الوطن.

ثم ارتقى المنصة كاظم غيلان للحديث عن تجربته وقال :انا لا اعتقد ان الموهبة ترتبط بتاريخ الميلاد لان الموهوب يولد من حيث لايدري ،من الظلم ان احسب على مشهد الشعر الشعبي العام ،وهذا مشهد مزري ويعاني من انحطاط ومن بذاءة ،الذي يقف على ابواب الحكام في السابق وربما يبرر ذلك بقسوة وقمع وضيق معيشة ،ولكن ما لذي يجبرنبي ان اطرق باب الحاكم ؟ ممكن ان اطرق باب الفريد سمعان او عقيل الناصري او ياسين النصير او فهد الاسدي او كفاح الامين او استنجد باي باب عراقي ، لكن مقابل ان اقرأ قصيدة ارضي بها طموحات مسؤول ،انا لا اؤمن باهدافه اصلا ،هذا المعيب هو الان،وهذا ليس محصورا بالشعر الشعبي فقط حتى لااكون متجنباً عليهم،وهذا الوضع نتحمله نحن المثقفين اولا ،لانه لماذا نرتضي ونستجيب ،ولماذا لانؤسس وضعاً ثقافياً جديد !، ما بعد ٢٠٠٣ يجب ان يكون وضع جديد للثقافة في العراق ،ويجب ان لا نرجع للمراحل الاولى لانحطاط الثقافة، وانتم تعرفون كيف ذلك ،انا ان احتفي بيّ شاعرا شعبيا فانا اعترض على هذا ،فانا ابن الحاضنة الثقافية وابن العراق ،ممكن ان انتمي لنصب الحرية او انتمي لمدينة الثورة او لاي انسان منكم ، والثقافة باقية شاء الحاكم ام ابى .

واستذكر الشاعر حميد قاسم علاقته بالشاعر كاظم غيلان الممتدة الى السبعينيات او اكثر،عندما كان يعمل في مكتب للطباعة في باب المعظم وكيف كان يمثل مقرا للادباء ونقطة استراحة في ايام الحصار الشرسة ،ووصف تلك الايام بالانهيار المريع ،حينما تساقطت الكثير من الاسماء دون ان يضغط عليهم احد رغم المراوغة التي كان يستخدمها النظام للإطاحة بالآخرين .

وأشار الشاعر عمر السراي إلى ان بعض الشعراء الشعبيين يعتقدون ان الشعر الشعبي بلا قضية ،وحينما يكتب تجره اللغة والمفردة وتجره موسيقى وافرة ،وخصوصا هي لهجة ونحن نتكلم عن لهجة ،واللهجة تعني لغة الحلم ولا تعني اللغة المعيارية ،نحن في الفصيح ربما تأتي الصورة عندنا شعبية في الحلم او في العقل بعد ذلك نترجمها الى الفصيح لذلك تخضع لمعيارية الحركة والاشتغال .

فيما اكد الشاعر عدنان ألفضلي على ان الحديث عن هذا الشاعر متعب ومملٍ وهذا ما عرفناه عنه من كثر خساراته ولم نشاهده يوما رابحا ،ولا يستبد الجزع بالأشخاص المختمرة تجاربهم ما لم يكرر الزمن تسديد رمياته الموجعة الى عمق صاحب التجربة ،كما لا يكمن للمختمرة تجربته ان يشهر تذمره من تكرار خساراته، من غير ان يرفع اطار المباشرة في الاعلان عن هذا التذمر.

ووصف الناقد ياسين النصير الحديث عن الثقافة العالمية الذي يعتبر في موضوعة الشعر الشعبي والميثولوجيا بشكل عام احد اركان التحديث ،ولكن في مجتمعنا تعتبر متخلفة او تدان ويصدر عليها قانون وتحرم من النشر ويضايق شعراءها ويمنعون من الاحتفال والمشاركة وكأنما هنالك قصدية في حذف نصف الثقافة التي ترتفع بشكل عام ،الثقافة الشعبية هي الاسفنجة التي تمتص كل حياة المجتمع عبر التاريخ .

واعتبر الشاعر ريسان الخزعلي كاظم غيلان الذي خسر كل الأشياء عدا الشعر، لابيت ولا امرأة ولأمال، انه صديق الشوارع والحانات والناس المحرومين ،هذا طارق المدن تراه اليوم في بغداد وغدا في الديوانية ثم البصرة ،وانا صاحب المقولة التي قلتها عند صدور ديوانه الأول –عرس الماي – اذا كان الاسبان يفخرون بلوركا بعرس الدم، فنحن نفخر بكاظم غيلان – بعرس الماي-.

وكانت هناك الكثير من المداخلات من قبل الاصدقاء ومحبيه،وقرأ الشاعر بعضا من قصائده ،وفي نهاية الحفل منحه الامين العام للاتحاد الأدباء الشاعر الفريد سمعان ، لوح الإبداع للملتقى الخميس الإبداعي تثمينا لجهوده الإبداعية.

بعد سبعين عاماً من انتحاره :

ولع فرنسي بحياة وأعمال الكاتب النمساوي ستيفان زفايج

ترجمة:عدوية الهلالي

بعد قرابة سبعين عاما من انتحاره، مازال الكاتب النمساوي ستيفان زفايج يجتذب ملايين القراء وتنفد كتبه غير المنشورة من الأسواق وكذلك الكتب المخصصة لسرد سيرته ...ولكن كيف يمكن لكاتب ما ان يصبح معبودا؟...

مابين عامي ١٩١١ و١٩٣٣ ، تم طبع واحدة من أقوى روايات زفايج وهي (قلوب تحترق) ووزعت منها أكثر من ١٤٠٠٠٠ نسخة في ألمانيا لتحقق له نجاحا لم يكن يطمح فيه حتى انتحاره عام ١٩٤٢ وبعده ...

وتعد هذه الرواية من الروايات النابضة بالحياة وقد تمت ترجمتها الى كل دول أوروبا تقريبا وفي القارة الأمريكية وكذلك في روسيا والصين وفي تركيا وأرمينيا ..ولا تنفرد رواية (قلوب تحترق) بذلك بل تنضم اليها روايات (أموك) و(رسالة إلى امرأة مجهولة) و(٢٤ ساعة من حياة امراة) اذ تم تحويلهن جميعا الى افلام سينمائية ...

اليوم ، يعود الولع بعالم ستيفان زفايج واضحا من خلال نشر كتابين غير منشورين من قبل في دار غراسييه الفرنسية للنشر بعد ترجمتهما عن الألمانية وهما روايتا (رحلة إلى الماضي) و(الشك المشروع) ، وكانت دار غراسييه قد أعادت مؤخرا طبع روايته (حذار من الشفقة) ، كما نشرت دار فلاماريون سيرته التي حملت عنوان (الأيام الأخيرة لستيفان زفايج) للكاتب لورنت سيسيك ،فضلا عن نشر دار غراسييه لسيرته أيضاً وهي تحمل عنوان (ستيفان زفايج) للمؤلف دومينيك بونا في ٤٦٠ صفحة ...

ويقدم بونا سيرة مؤثرة وفاعلة منفصلة عن التاريخ ولاترتبط بزمن محدد ، ذلك ان نتاجات زفايج تحمل الوان عصرنا طالما تتحدث عن (فوضى المشاعر) وتحاول فك شفرات القلوب وتتحرى الأسرار في عالم فقد معنى السر.....ويصف لنا بونا زفايج كئيبا وحسيا ومنعزلا لكنه ودي ايضا ويتحلى بحكمة لم تقف حائلا أمام تحوله الى ضحية.

ولد زفايج عام ١٨٨١ في احد الأحياء الجميلة لعاصمة الإمبراطورية النمساوية –الهنغارية فينا من أب ثري يعمل في صناعة النسيج وأم ترتدي الثياب الحريرية وتتجول بين الصالونات البرجوازية ..ورغم كونه يهوديا لكنه لم يكن يمارس ديانته كشقيقه الأكبر ..اما المدرسة فقد كان يرى فيها سجنا ويفضل التردد على المسرح والحفلات الموسيقية لبرامز او شوبيرت وارتياد المقاهي المكتظة بالأدباء ..وفي سن التاسعة عشرة ،اصدر أولى مجموعاته الشعرية وكانت بعنوان (حبال من الفضة) لتحظى بإعجاب النقاد كما كتب عنها ريلكه كلمات مؤثرة ...كان زفايج يحلم بمغادرة فيننا لذا ذهب إلى برلين ليتعرف الى كتاب الأدب الطليعي ، بعدها عاد الى فيينا لينهي الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٠٤ ثم أمضى ست سنوات متسكعا في دول أوروبا والهند والولايات المتحدة في محاولة دائمة منه لتبادل الأفكار ...كما انه يقضي شطرا طويلا من حياته لترجمة أعمال مشاهير الأدب إلى اللغة الألمانية والكتابة عنهم أيضاً ومنهم رومان رولان واميلي فيرهرن وهيرمان هيسه وهنريش مان وجيمس جويس ، وهكذا ينجح في عقد علاقات وطيدة مع العديد من الكتاب ويستقبل بعضا منهم في منزله في سالزبورغ من أمثال بيير جان جوف وبول فاليري ورابندرانات طاغور وبيللا بارتوك وموريس رافيل وريتشارد شتراوس الذي يعزف لهم على البيانو ..

في عام ١٩١٤ ، اشتهر زفايج المجبول على الثقافة الالمانية بكونه داعية للحرب ، لكنه يكتشف بالتدريج بأن الهزيمة يمكن ان تغذي العقول اكثر من النصر ، وفي عام ١٩١٧ ، سيعمل في سويسرا على مؤازرة المثقفين المحبين للسلام وستدعو خطاباته الى العدول عن الحرب ماعتبره البعض جبنا لكن زفايج لم يكن جبانا بل مثاليا وكان يدعو الى توحد العالم المتعدد الأجناس تحت لواء الاخوة والود ...وخلال اكثر من عشرين عاما ،سيدافع عن هذه الفكرة في عدة مؤتمرات لكنه لم يجد تجاوبا معه في كل مكان وسيشعر أحيانا بأنه كمغني الجوق الذي ينفرد بصوته بعيدا عنهم ..

في عام ١٩١٩ ، سيقيم في سالزبورغ وسيكتب عن عدد آخر من أفضل مؤلفي العصر من بينهم دستوفسكي وبلزاك وديكنز كما يعبر عن عبقرية نيتشه وكلست وهولدرلين بلغته الألمانية الرائعة وستضم المجموعة ستندال وتولستوي أيضا ..ويصطدم زفايج بفرويد حين يكتب عنه لأنه يعتبر كتابته تبسيطا لأفكاره في الوقت الذي يصر زفايج على حقيقة إن أوروبا لن يشفيها العقل ..

بعد حرق المجلس التشريعي الألماني عام ١٩٣٣ ، منع النازيون تصوير الفيلم المقتبس عن رواية (قلوب محترقة) للمخرج روبرت سيوديماك ، كما اقدموا على حرق كتب زفايج اسوة بتوماس مان واينشتاين وفرويد في ألمانيا لذا بقي في النمسا مواصلا الكتابة عن قسوة الحرب ، وفي شباط من عام ١٩٣٤ ، لاحقته الشرطة فقرر المغادرة وحيدا الى لندن ، وهناك التقى الفتاة السمراء ذات الملامح الحزينة (لوت التمان) لتوحدهم المأساة ويتزوجان بعد القيام بجولات عديدة في العالم ..كان يواظب على حضور المؤتمرات في كل مكان والكتابة عن فلسفته المناهضة للحرب ، وفي سالزبورغ ، تم احراق كتبه ومصادرة امواله وصوره ومخطوطاته وحتى خصلة شهر بتهوفن التي كان يعتز بالاحتفاظ بها..وبعد مقتل صديقه جوزيف روث واتهامه هتلر بوضع العراقيل في طريق الأدباء ، ظل مطاردا في أوروبا والولايات المتحدة ثم غادر إلى البرازيل والأرجنتين لكنه تعب من الملاحقة فانتحر مثل بطل روايته (لاعب الشطرنج) ولحقت به لوت حيث وجدت متشبثة بجثته على سريرهما بعد تناولهما الحبوب المنومة ..ورغم انتحار العديد من شخصيات روايات زفايج الا انه لم يكن مثلهم كما قال عنه رومان رولان ..لقد كان عاقلا وحكيما لكن حكمته تلك كانت ضحية لمبادئه الراسخة ..

تلويحة المدى

موقف ابن خلدون من العرب

شاكر لعيبي

يمكن للسياق الذي كتب به العلامة ابن خلدون عمله، وهو ابن الثقافة العربية، أن يمنحنا الإحساس العميق بأن فكرته المتعلقة بالعمران والصنائع تنطبق على كل أمة ما عدا العرب.

إن درسَهُ المكرّر مرات ومرات في المقدمة عن طبائع العرب الذي لنْ يرضيَ البتة مزاجات (القومجيين العرب) المعاصرين وقد يجعلهم يشتعلون غيضاً، وبشكل أخصّ طروحاته في "فصل أن العرب جيل من الخلقة طبيعي" و"فصل في العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك" و"فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع" وما يلازمها من تلميحات وتصريحات بهذا الشأن. ذاك الدرس يبدو للقراء الأقل قومانية، درساً من طبيعة لا تاريخية قليلاً أو فوق- تاريخية لأنه يستند، بالضبط، إلى تصوُّر وجود جماعة ثابتة خارجَ التاريخ، والاعتقاد بوجودِ عَرَب أزليينَ لا تنطبق عليهم، أو لم تنطبق البتة شُروط العمران. في المخيال الخلدوني، كما في التصور الاستشراقي البائد والبعض من الخيال الغربي المعاصر ثمة عربٌ بدوٌ أقحاحٌ ظلوا ثابتين في البداوة رغم مضيّ عدة قرون من كتابة المقدّمة على الأقل، ورغم انتقالهم وعيشهم منذ القرن الثامن الميلادي على أقل تقدير وحتى وفاة ابن خلدون في بداية القرن الخامس عشر، هذا إذا افترضنا أنهم لم يسكنوا أبداً قبل ظهور الإسلام في مُدُن. إن ما كان يراه المؤرّخ الكبير من استقرارهم في مدن حضرية يعدّدها، بقلمه، مثل بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان ومدن الأندلس وفاس وغيرها لم يزحزح قناعته قيد أنملة بشأن مجرد إمكانية انتقالهم إلى طبيعة اجتماعية وسلوكية أخرى غير بعدهم عنْ السياسة والصنائع.

وفي ظني فأن مُسمّى العرب يُطلق من طرف ابن خلدون على بُداة العرب بالدرجة الأولي، ولا ندري لماذا لم يُسَمِّهم كما فعل القرآن أعراباً. لكن إطلاق العرب على الأعراب كان دأباً لدى بعض المؤرخين المعاصرين لابن خلدون وللغالبية المطلقة من المؤرخين الرسميين للدولة المملوكية في مصر فيما بعد، حيث لا نعدم استخدامهم، أثناء سردهم للوقائع، تعبيرات مثل "وهجم العرب على كذا" و"تمرد عرب سيناء.." وما شاكل للتعبير عن سكان صحراء سيناء.

ونحسب أن ثمة تعميماً قديماً من طبيعة لا تاريخية بإطلاق صفات البداوة على العرب قاطبة لأسباب منها أيديولوجيّ صراعيّ ومنها من طبيعة عرقية لم يعد يقبل بها أحد اليوم، وليس بالضرورة بسبب جهل معرفي، بحيث يبدو الجميع وهم يتناسون ازدهار الحواضر في (العربية السعيدة Arabia Felicia) المتوغلة في الأدبيات الرومانية منذ وقت مبكر. قلة قليلة من الغربيين لم تفعل ذلك وقدّمتْ مفهوماً أقل صحراوية عن العرب ورأتْ، كما فعل فرناند بروديل في كتابه "الرَأسمَلَة والحياة المادية ١٤٠٠-١٨٠٠"، أن سكان مدينة مثل مكة كانوا من التجّار المستقرين بينما كان سكّان يثرب من مزارعي النخيل المستقرين بدورهم في حاضرة مدنية تقع فيها حتى الجدالات الدينية بين مختلف الأديان.

لو كان ابن خلدون معاديا للعرب فإننا أمام خلل سياقي من طرف المؤلّف، فهو يطلع من ثقافته العربية معلناً جديداً للفكر العالمي لكنه يصرّ إصراراً على بقاء الشعوب العربية المحايثة له في بداوة ممحوّة الملامح وأزلية ولا تقبل الشفاء. استنتاج من الصعب اليوم قبوله طالما أننا نشتغل ونعمل وننتج في سياق التعقيد البالغ لثقافتنا والمؤثرات الداخلة في تكوينها منذ البدء، مثلما كان الحال منذ زمان العلامة وحتى اللحظة. ونحسب أن تأبيد العرب في وضعية واحدة ثابتة استجاب، منذ أن نُشرت المقدمة، لهوى تصنيفي وجغرافي صارم لشعوب العالم، أو لجغرافيا استعمارية إذا شئنا، ولعلّه كان سبباً قوياً من أسباب رفع ابن خلدون لمصاف لم يحضَ به، حالياً على الأقل، أيّ مفكّر أو فيلسوف عربي آخر في العالم الغربي، سوى ابن عربي.

من هذا المنطلق وبعيداً عن الخلل السياقيّ المشار إليه، بل في إطار تاريخي محدّد، لا يتوجب فصم عرى فكر ابن خلدون عن المرجعيات والمصادر العربية العقلانية التي يمكن أن يكون قد طلع عليها. فإن فكره بشأن العمران والصنائع يتابع، بدقة أحياناً، مجهودات إخوان الصفا (القرن العاشر الميلادي) التوليفية وابن مسكويه والتوحيدي بشكل خاص، ثم الطرطوشي وابن رضوان والماوردي وابن النفيس وغيرهم، بالإضافة إلى القزويني (توفي عام ١٢٨٠ أو عام ١٢٨٣) الذي يقدم في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" نظرات اجتماعية وأنثروبولوجية متقدّمة أيضاً. إن أحد فصول كتاب التوحيدي (ت ١٠١٠ م) (الهوامل والشوامل) المتقدّم في الزمن لا يمكن إلا أن يكون مرجعاً أكيداً لابن خلدون، ويتوجب إعادة الاعتبار له لتقييم المشروع الخلدوني. إن الإخوان وابن مسكويه وتلميذه التوحيدي (المعتزلي) ثم القزويني كانوا مراجع أساسية لابن خلدون (ت عام ١٤٠٦) مثلما كان المقريزي (ت ١٤٤١)، صائد الحياة الاجتماعية والمتولّه بوصفها، تلميذاً لكن بالمعنى الدقيق للكلمة- وفي ذلك مغزى- لابن خلدون. ثمة مؤسسون أقدم من ابن خلدون ساهموا في بلورة (علم اجتماع) جنينيّ عقلانيّ في التراث العربي. علَمُ اجتمَاعٍ لا يتردّد في المرور على جميع الموضوعات الحيوية بما فيها الحقل التشكيليّ والجماليّ وفق لحظته المعرفية.

لكن عظمة ابن خلدون تقع في القدرة على تكوين حصيلة منظّمة ومقنعة للغاية، مُشدَّد عليها بصرامة بشأن علم الاجتماع البشري، وهي حصيلةٌ لَم يسبق وإن كرُّس لها مؤلِّف واحد كتاباً كاملاً (مقدمةً). لم يفعل ذلك الإخوان رغم شذراتهم الذكية ولا التوحيدي، المستند إلى تعاليم ابن مسكويه، ولا المقريزي اللاحق بعمله الوصفي للحياة الاجتماعية المصرية.